

عرفات يوم مشهود

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله - عباد الله - حقَّ التَّقوى، فتقوى الله نعم الزَّاد، وهي النَّجاة يوم المعاد.

أيها المسلمون:

تتوالى مواسم الخيرات محفوفةً بفضل الزمان وشرف المكان. أفئدة المسلمين تهفو لبيتٍ معمورٍ يتجهون إليه كلَّ يوم في صلاتهم ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وأنظارهم تتطلع لبقاع مباركة تتجدد فيها العبر والعظات قال سبحانه: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧]، الأمن والأمان في ربوعه بأمان من الله ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، نفعه متعدُّ للحاضر والباد ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، الأرزاق عليه دارة والنعم حوله متوالية ﴿أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصاص: ٥٧]، ركاب الحجيج مُيَمِّمة بيت الله العتيق، منكسرة في رحابه،

راجية موعود الله وجزيل نواله، مستقبلة طاعة من أجل العبادات وركيزة من دعائم هذا الدين، حج بيت الله الحرام باب رحب لحط الأوزار والآثام، يقول النبي ﷺ لعمر بن العاص رضي الله عنه عند إسلامه: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» (رواه مسلم)، فيه غسل أدران الخطايا والرزايا، يقول النبي ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» (متفق عليه)، ثوابه جنات النعيم يقول النبي ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه مسلم).

في الحج منافع وعبر وفوائد، التجرد من المخيط تذكير بلباس الأكفان بعد الرحيل، فيه إرشاد إلى التواضع ونبد الكبرياء، الجمع كله إزار ورداء، الرأس خانع للدَّيَّان، هيئته الخضوع والاستكانة للرحمن، إخلاص العمل لله وإفراجه بالعبادة شعار الحج وبه افتتاح التَّسْبِيحِ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ»، فيها إعلان التوحيد ونبد الشرك، «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ»، فيها تذكير بإسداء النعم والثناء على المنعم، «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ»، ومن لبي في بلد الله الحرام كان إلى التزام نداء الله بعد حجه واستجابته لأوامره بعد أداء نسكه أقرب.

وفي رؤية البيت المعمور مشهد لإخلاص الأعمال لله، الخليل وابنه يرفعان أشرف معمور ومع هذا يسألان الله قبول العمل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، يقول الحسن البصري - رحمه الله -: «المؤمن جمع إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وأمناء»، وواجب على الحاج إخلاص أعمال الحج وغيرها لله، فلا يريد بعمله رياء ولا سمعة، ولا مباحاة ولا مفاخرة، بل طلب رضا الله وتكفير السيئات، وللطواف وقع على القلوب ومهابة في النفوس في بساط بيت الله الآمن، فلا موطن على الأرض يتقرب فيه إلى الله بالطواف سوى ما حول الكعبة المشرفة، وفي تقبيل

الحجر الأسود حسن الانقياد لشرع الله وإن لم تظهر الحكمة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» (متفق عليه)، وفي مناسك الحج درس في التقييد بالسنة وحسن الاتباع، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لتأخذوا مناسككم» (رواه مسلم)، فعلى المسلم اتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم في كل قرينة، واقتفاء أثره في كل طاعة ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

أيها المسلمون:

يوم عرفة يوم أغرّ، هو ملتقى المسلمين المشهود، يوم رجاء وخشوع، وذلّ وخضوع، يوم كريم على المسلمين، يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: «الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير به»، وأفضل الدعاء دعاء ذلك اليوم، يقول ابن عبد البر - رحمه الله -: «دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب»، والإكثار فيه من كلمة التقوى مع فهم مدلولها ومعانيها خير الكلام، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» (رواه الترمذي)، يومٌ يكثر فيه عتقاء الرحمن، ويباهي بهم ملائكته المقربين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء» (رواه مسلم)، قال ابن عبد البر - رحمه الله -: «وهذا يدل على أنهم مغفور لهم، لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران». فكن مخبتاً لله في ذلك اليوم، متواضعاً خاضعاً لجنابه، منكسراً بين يديه، طامعاً في كرمه، راغباً في وعده، راهباً من وعيده.

واجتماع الناس في عرفة تذكير بالموقف الأكبر يوم الحشر لفصل

القضاء بين الخلائق ليصيروا إلى منازلهم إِمَّا نعيم وإِما جحيم، والدُّعاء عظيم المكانة رفيع الشأن، يرفع الحاج إلى مولاه حوائجه ويسأله من كرمه المتوالي، فتقيّد بشروطه وتمسّك بأدابه، واحذر من الوقوع في شيء من موانع إجابته، وتحر الأوقات والأمكنة الفاضلة لقبوله، وتوجه إلى الله بقلبك امتثالاً لأمره، يقول سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وارفع له سؤالك، وناجه بكروبك، وأيقن بتحقيق الإجابة، وألح على الكريم في الطلب، ولا تيأس من تأخر العطاء، ففي التأخير رحمة وحكمة وهو الخلاق العليم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ونحر التُّسك عبادة محضة لله يتقرب بها المسلمون لربهم من هدي أو أضحية ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. وفي وضع النواصي بين يدي ربها حلقاً أو تقصيراً استسلام لهيمنة الله وخضوع لعظمته وتذلل لعزته.

والذكر وسيلة لحياة القلب وتهذيب النفس وتركية الفؤاد، وإقامة ذكر الله والإكثار منه في المشاعر مقصد من مقاصد أداء تلك الشعيرة، وأرجى لقبولها وأصدق في إخلاص فعلها، قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال جلّ وعلا: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، فصاحب ذكر الله في سائر حجك فشعائر الحج شرعت لذلك، يقول النبي ﷺ: «إنما جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).

وأقرب الحجيج عند الله منزلة أكثرهم له ذكراً، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً، فأفضل الصوام أكثرهم

ذكراً لله في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله، وأفضل الحجَّاج أكثرهم ذكراً»، وإذا انقضى الحج فأكثر من الاستغفار فهو ختام الأعمال، والاستغفار يخرج العبد من العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، ومن أحسن في حجه وابتعد عن قوادحه عاد منه بأحسن حال، وانقلب إلى أطيب مآل.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

من فاز بمغرم الحجِّ حقيق به أن يعود إلى بلده بحال زاكية صالحة مطمئنة مليئة بالإيمان والتَّقوى، نفسه قويمة السُّلوك، ذات عزيمة قوية في الطاعة، وإقبال على الرَّبِّ، ومن أماره الرِّضا والقبول فعل الحسنه بعد الحسنه، وإذا انقلب الحاجُّ إلى دياره فليكن فيها قدوة بالصلاح والاستقامة والدَّعوة إلى الله على بصيرة والتَّمسُّك بالدين، ورحيلك من المشاعر تذكير لك بالرحيل من هذه الدار، فأنت في سفرٍ سيعقبه سفر إلى قبرك، فتزوّد من هذه لتلك، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «النَّاس منذ خُلِقوا لم يزلوا مسافرين وليس لهم حطٌّ عن رحالهم إلا في الجَنَّة أو النَّار»، فاغتنم مواسم العبادة قبل فواتها فالحياء مغنم والأيام معدودة والأعمار قصيرة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلَاة والسَّلَام على نبيّه . . .